الأدب الجاهلي لم يكن كذلك ، فهو — كما وصلنا — لا نكاد نجد فيه أثراً لديانة العرب الوثنية ، ولهذا نرى أن الإسلام لم يحاربه، ولا تزال كتب الأدب التي بين أيدينا تحمل أصداء لاختلاف المسلمين الأوائل في الحكم على الشعر ووجوب محاربته أو التسامح فيه . وإذا كان من الثابت أن كلمة المسلمين قد اجتمعت على محاربة الشعر الذي كان صادراً عن روح قبلية تبعث الخصومات القديمة ، فان هذا قد كان لأغراض سياسية أكثر منها دينية ، والسياسة لم تحرك الشعوب خصوصاً القديمة منها ، ولا كان لها قط ما للدين من تأثير . ولهذا نرى أن تلك المحاربة نفسها لم تنجح إلا نجاحاً محدوداً بحيث نستطيع أن نقرر أن التقاليد الشعرية قد اطردت عند العرب برغم ظهور الإسلام »[1] .

ويعود بعد ذلك ليقول :

« ولقد سبق أن شرحنا لماذا ظلت تقاليد الشعر عند العرب مطردة رغم ظهور الإسلام ، مفسرين ذلك بخلو القديم من الوثنية وعدم صدوره عنها — على الأقل ماوصلنا منه — وهو الذي اتخذ نموذجاً يحتذى . ولكننا لا نريد بذلك إلى القول بأنه لم يطرأ على الشعر العربي أي تغير بعد ظهور الإسلام . إذ من المعلوم أن الحوادث السياسية والاجتماعية والدينية التي طرأت على حياة العرب قد غيرت من روح الشعر وأساليبه وآفاقه ، فنرى الرفاهية والحرمان من المساهمة في السياسة العامة يقودان الحجازيين إلى غزل ماجن أو عفيف مختلف المعاني عما عهده الجاهليون ، ونرى الشعر السياسي يظهر في العراق وتتخذه الأحزاب السياسية والفرق الدينية من وسائل جهادها ، كما أن تنظيم الدولة السياسي وتركيز

---

(١) المرجع نفسه ص ٥٠ — ٥١ .